الأخلاق وجودة الحياة[1]

أ.د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد.

المشرف على كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة

قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية.

su1418@hotmail.com

Morals and quality of life

.Dr. Sulaiman Qasim bin Mohammed AlEid

Supervisor, King Abdullah bin Abdulaziz Chair for Hisbah and its Contemporary Applications, Department of Islamic Studies, Faculty of Education, King Saud University

ملخص البحث:

يعد مفهوم جودة الحياة من المفاهيم المركبة لما تحمله من جوانب متنوعة ومتعددة ومتفاعلة بين عدد من العلوم في مختلف التخصصات كما أنَّ جودة الحياة مفهوم نسبي يختلف من شخص لآخر تؤطره مقومات وعوامل كثيرة تتحكم في تحديد درجة جودة الحياة، وتكمن أهمية الموضوع في التعرف على أهمية الجودة وأصولها الشرعية في القرآن الكريم، وسبق الإسلام لضمان جودة الحياة في كافة جوانبها، وعلاج البحث المتنامي عن سبل تحسين جودة الحياة، ورفع مستوى السعادة، والإجابة عن تساؤلاتها: ما هي جودة الحياة؟ وكيف يمكننا تحقيقها؟ وما علاقة الجودة بالسعادة والرضا في حياتنا الأسرية والمجتمعية والعملية؟

وصولا إلى بيان مفهوم جودة الحياة في الإسلام، والعلاقة الارتباطية بين الأخلاق والجودة، وبيان مقومات جودة الحياة في كل جوانب حياتنا الأسرية والمجتمعية والعملية، وقد تناول البحث في عناصره: الجودة في المفهوم الإسلامي، وأبرز معالمها، وأخلاق الجودة وتطبيقاتها في

Abstract:

This article aims to highlight the concept of morals and quality of life as one of the complex concepts due to its diverse and multiple aspects and interaction with a number of sciences in various disciplines. Quality of life is a relative concept that varies from person to person framed by many components and factors that control the quality of life. Its importance ensues from its origins in the Holy Qur'an. The study tries to answer several questions inducing: What is the quality of life?, how can we achieve it? And what is the relationship between quality and happiness and satisfaction in our family, community and practical life?. It also demonstrates the concept of quality of life in Islam, and the connection between morals and quality of life. Quality morals of life include quality morals, morals of applying it in life, morals related to the family and its impact on quality of life, morals related to society and its impact on quality of life, morals related to work environment and quality of life. It concludes with the most important results and recommendations.

[1] تاريخ الاستلام: ١١ / ١٢ / ٢٠٢٣، تاريخ القبول: ٣٠ / ١٢ / ٢٠٢٣

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

المبحث الأول: الجودة في المفهوم الإسلامي

إن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وفلسفة للكون والإنسان والحياة، يمثل كمال الجودة وتمامها، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة، ٣]، ومن المعلوم أن التمام ضد النقص، وليس كل تمام يعني الكمال، لأن الكمال هو الحالة المثلى في كل شيء.

كما أن الجودة مفهوم أصيل في كل تعاليم الإسلام ومضامينه، إذ تمثل الجودة قيمة إسلامية عالية، لأنها استفراغ الجهد لاستثمار كافة الإمكانات والطاقات البشرية، فقد حث القرآن الكريم على الجودة الشاملة في كل الأعمال التي يفترض أن يقوم بها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف، ٧]، وفيما يأتي بيان مفهوم الأخلاق والجودة وفلسفتها في الإسلام:

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق وجودة الحياة ومترادفاتها:

أولًا: الأخلاق لغة واصطلاحًا:

أ) **الأخلاق لغة:** الخُلق: هو الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين[٦]، (الخاء واللام والقاف) أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء. ومن ذلك: الخُلق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه[٧]، والخُلق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم، ٤]، والجمع: أخلاق، وفي الحديث: (ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيءَ)[٨].

والأخلاقُ جَمعُ خُلُقٍ، والخُلقُ -بضَمِ اللَّامِ وسُكونِها- هو الدِّينُ والطَّبعُ والسَّجيَّةُ (وهو ما خُلِقَ عليه مِنَ الطَّبعِ) والمروءةُ، وحَقيقةُ الخُلُقِ أنَّه لصورةِ الإنسانِ الباطِنةِ، وهي نَفسُه وأوصافُها ومَعانيها المختَصَّةُ بها بمَنزِلةِ الخَلقِ لصورَتِه الظَّاهرةِ وأوصافِها ومَعانيها[٩].

وحَقيقةُ الخُلُقِ في اللُّغةِ: هو ما يَأخُذُ به الإنسانُ نَفسَه منَ الأدَبِ، يُسَمَّى خُلُقًا؛ لأنَّه يَصيرُ كالخِلقةِ فيه، قال الرَّاغِبُ: (والخَلقُ والخُلقُ في الأصلِ واحِدٌ... لكِن خُصَّ الخَلقُ بالهَيئاتِ والأشكالِ والصُّورِ المدرَكةِ بالبَصَرِ، وخُصَّ الخُلُقُ بالقوى والسَّجايا المدرَكةِ بالبَصيرةِ)[١٠].

ب) **الأخلاق في الاصطلاح:** تُطلَق الأخلاق باعتبارين: أحدهما عام، والآخر أخص منه: فمن العام ما ذكره الغزالي حين عرَّف الخُلُقَ بقوله: (الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تَصدُر الأفعال بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فِكْر ورويَّة)[١١]، وبهذا الإطلاق يشمل الخُلُق الحسن والقبيح، والمحمود والمذموم، وإن كان يَغلِب إذا أُطلِق عن التقييد إلى الخُلُق الحسن.

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

ب) **الإتقانُ اصطلاحًا:** يَرِد مُصطلَح (إتْقان) في كتاب الصَّلاة، باب: صِفة الصَّلاة عند الكلام على قِراءَةِ القرآن في الصَّلاة، وفي كتاب الجامع للآداب، باب: مَكارِم الأخلاقِ. ويُطلَقُ أيضاً في عِلم أصول الفقه، باب: الجَدَل وآداب البَحْث والمناظَرة، وفي عِلمِ القواعِد الفِقهِيَّة، ويُراد به: معرفَةُ الأَدِلَّة بِعِلَلِهَا، وَضَبْطُ القَوَاعِد الكُلِّيَّةِ بِجُزْئِيَّاتِها[٢٢].

والإتقان: هو عمل الشيء على أحسن وجه، وقد وردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تَحُثُّ المسلم على الإتقان في عبادته، وعمله وسائر شؤونه الدينية، والدنيوية، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُون ﴾ النمل:٨٨، روى أبو يعلى في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ)[٢٣].

٢- الإحسانُ:

أ) **الإحسانُ لغةً:** الإحسانُ ضِدُّ الإساءةِ، وهو فِعلُ ما ينبغي أن يُفعَلَ من الخيرِ، وهو مصدَرُ أحسَنَ، أي: جاء بفعلٍ حسَنٍ، ويُقالُ على معنيينِ؛ أحَدُهما: متعَدٍّ بنفسِه، كقولِك: أحسَنْتُ كذا: إذا حسَّنْتَه وكمَّلْتَه. وثانيهما: متعَدٍّ بحَرفِ جَرٍّ، كقَولِك: أحسَنْتُ إلى كذا، أي: أوصَلْتُ إليه ما ينتَفِعُ به[٢٤].

ب) **الإحسانُ اصطلاحًا:** قال الكَفَويُّ: الإحسانُ: هو فِعلُ ما ينفَعُ غيرَه بحيثُ يصيرُ الغيرُ حَسَنًا به، كإطعامِ الجائعِ، أو يصيرُ الفاعِلُ به حَسَنًا بنفسِه[٢٥]، وقال السَّعديُّ: هو بذلُ جميعِ المنافِعِ من أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوقٍ يكونُ[٢٦].

٣- المُراقَبَةُ:

أ) المُراقَبَةُ لغة: حِراسَة الشَّيْءِ ومُلاحَظَتُهُ، وتأْتي بِمعنى الحِفْظِ. وتُطْلَقُ المراقَبَةُ على الخَوْفِ والخَشْيَة. وأَصْلُها: الإنْتِظارُ والتَّرَصُّدُ[٢٧].

ب) المُراقَبَةُ اصطلاحًا: يَرِد مُصْطلَح (مُراقَبَة) في الفقه فِي مَواضِعَ، منها: كتاب الصَّلاةِ، باب: صِفَة الصَّلاةِ، وكتاب الصِّيامِ، باب: سُنَن الصَّوْمِ، وفي كتاب البُيوعِ، باب: شُروط البَيْعِ، وغَيْر ذلك. ويُطْلَق في الفقه في باب: الهِبَة والعطِيَّةِ بِمعنى الرُّقْبَى، وهي: هِبَةُ الشَّخْصِ لِغَيْرِهِ بِشَرْطِ أن تَكونَ لآخِرِها مَوْتاً. ويُطْلَق أيضاً في كتاب الحُدودِ، باب: حَدّ السَّرِقَةِ، ويُراد بِه: حِراسَةُ الشَّيْءِ ومُلاحَظَتُهُ مِن قادِرٍ على مَنْعِ سَرِقَتِهِ بِقُوَّةٍ أو اِسْتِغاثَةٍ[٢٨].

٤- السعادة:

أ) **السعادة لغة:** أصل مادة (س ع د) تدل على خير وسرور خلاف النحس، فالسعد: اليمن في الأمر[٢٩]، والسعادة: خلاف الشقاوة، يقال: يوم سعد ويوم نحس، وقد سعد يسعد سعدًا وسعادة فهو سعيد: نقيض شقي، وسَعُد بالضم فهو مسعود، والجمع سعداء[٣٠].

ب)**السعادة اصطلاحًا:** عرفها الراغب بأنها: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير[٣١]، وقال ابن عاشور: والسّعيد: ضدّ الشّقيّ، وهو المتلبّس بالسّعادة الّتي هي الأحوال الحسنة الخيّرة الملائمة للمتّصف بها[٣٢]، وعند علماء التربية: حالة نفسية من مشاعر الراحة والطمأنينة والرضى عن النفس والقناعة بما كتب الله سبحانه وتعالى[٣٣].

٥- الرضا:

أ) الرضا لغة: ضد السخط، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللّهمّ أعوذ برضاك من سخطك)[٣٤]. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به[٣٥].

ب) الرضا اصطلاحًا: سرور القلب بمر القضاء[٣٦]، أو طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير[٣٧].

٦- الفرح:

أ) **الفرح لغة:** يقال فرح يفرح فرحًا، فهو فرحٌ على خلاف الحزن [٣٨].

ب) **الفرح اصطلاحًا:** انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللّذات البدنيّة الدّنيوية[٣٩].

٧- السّرور:

أ) **السّرور لغة:** يقال: سررت برؤية فلانٍ وسرّني لقاؤه، وقد سررته أسرّه، أي : فرّحته، السّرور خلاف الحزن، تقول: سرّني فلانٌ مسرّةً، والسرور :ما ينكتم من الفرح [٤٠].

ب)**السرور اصطلاحًا:** حالة نفسانية تعرض عند حصول اعتقاد وعلم أو ظن لحصول شيء لذيذ[٤١].

رابعًا: العلاقات الارتباطية بين المترادفات:

إنَّ الإحسان والإتقان والرضا والسعادة والسرور والفرح، تمثل بمضامينها الكلية بلغة العصر مفهوم الجودة، وإن انصرفت الجودة إلى أداء العمل بإحكام، إلا أنها شاملة لكل معاني الرضا والسعادة، فالرضا ضد السخط والسعادة ضد الشقاوة وأن السخط بعض ألوان الشقاء، كما أن الصلة بين السرور والسعادة تكمن في أن السرور هو ما انشرح واطمأن له القلب من الفرح بلذة عاجلة أو آجلة، وبمقارنته بالسعادة نجد بينه وبين مفهوم السعادة نوعًا من التقارب، إلا أن السعادة أشمل وأعم، فسرور الإنسان بنعم الله ولذات الدنيا ومتاعها

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

عمل نافع يَعُدُّه الإسلامُ من العمل الصالح، متى ما تحقق فيه شرط القبول، فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل الأعمال الدنيوية التي يقوم بها الإنسان لمعيشته، والسعي على نفسه وأهله، من أبواب العبادة والقربات إلى الله تعالى، وإن لم يتعد نفعها دائرته الشخصية، فالزارع في حقله، والعامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والموظف في مكتبه، وكل ذي حرفة في حرفته، يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي طاعة وقربة إلى الله تعالى، بشرط النية الصالحة واتقان العمل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه، ١١٢].

المبحث الثاني: أخلاق الجودة وتطبيقاتها في الحياة

لقد اعتنى الإسلام بالأسرة، وجعل جودة الحياة الأسرية أحد أهم المسؤوليات التي يجب العناية بها، فقال صلى الله عليه وسلم: (كلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتِه، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه، والرجلُ في أهلِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ، وهي مسؤولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ في مالِ سيدِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه) [٤٨]، وإن الخيرية تكمن في خيرية الرجل لأهله، فقال صلى عليه وسلم: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي)[٤٩]، بل وجعل الإسلام الرسالة في عمومها لتمام صلاح الأخلاق، وأنّ من أهداف بعثته صلى الله عليه وسلم، الجوانب الأخلاقيّة، فقال صلى الله عليه وسلم: (بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ)[٥٠]، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأخلاق المتعلقة بالأسرة وأثرها في جودة الحياة:

لا شك أن جودة الحياة الأسرية تعني استقرارها وسعادتها وراحتها وبعدها -قدر الإمكان- عن المشكلات التي تهدد تلك السعادة، ولقد أولى الإسلام عناية كبيرة بالأسرة؛ وأولاها اهتمامًا فائقًا، وحرص على تماسكها وحفظها مما يقوّض دعائمها حرصًا شديدًا، وأحاطها بسياج متين، وجعل لها نظامًا فريدًا متميزًا، فهي أحد أهم أسس استقرار المجتمع، بصلاحها يصلح المجتمع بأسره، وهي مهد الطفولة، منها تنطلق مسيرة بناء الشخصية، وفي رحابها تكتسب الأخلاق والعقيدة والتربية، فكانت عنايةُ القُرآنِ الكريم والسنة النبوية المشرفة بأحكامِ الأسرةِ إجمالًا وتفصيلًا كواحدة من أهم وأبرز القضايا الاجتماعية لتحقيق السعادة الأسرية.

كما عنيت الشريعة الإسلامية بالأسرة ورسمت لها أهدافًا كثيرة ومتعددة بتعدد أدوار الأسرة واختلاف مشاربها، رغبة وتحقيقًا لجودة الحياة؛ فاشتملت على أهداف اجتماعية، واقتصادية، وتربوية، ودعوية، سواء كانت فردية، أو جماعية، دينية أو دنيوية، منها ما يراعي الحاضر ومنها ما يرنو إلى المستقبل، فأمر بالمحافظة على الأسرة وحمايتها من مخاطر الانزلاق في رذائل الأخلاق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم، ٦]، وليقوم كل فرد فيها بدور إيجابي في تحقيق غايتها، جعل مسؤوليتها مشتركة كلٌ فيما كُلِّف به، مشيرًا إلى أن التقصير في حق كيان الأسرة مسؤولية سوف يسأل عنها كل راع للأسرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[٥١].

ومع ما يشَهِدَه العصرُ الحاضر من سرعة التغيُّراتٍ الناتجة عن التطور المتسارع في كافة مجالات الحياة، فلا شكَّ أنَّ هذه التغيُّرات المتسارعة قد مَسَّت الأسرةَ بشكلٍ مباشر، وألقت بظلالها على نظام الأسرةِ فكريًّا وثقافيًا؛ بدعوى الالتحاق بركبِ التطوُّر تارة، وبدعوى التحرر تارة أخرى، تنادي بإعادة النظر في كيفيَّةِ التَّعامُلِ مع النصوص الشرعية المتعلقة بالأسرة، مصدِّرة دعواها بضرورة فض الاشتباك بين النَّصُّ والاجتهاد أو بين الثابتُ والمتغيِّرُ.

ولا شك أن جودة الحياة الأسرية تكمن في تحقيق السعادة لأفرادها، وتتعدد الأساليب والطرائق لتحقيق سعادتها واستقرارها، وتقع الأخلاق على رأس جودة الحياة الأسرية التي تقوم على التآلف والمحبة والاحترام داخل أفراد الأسرة نفسها، ويتقاسم أفرادها الواجبات والحقوق، وإن كان الدور الأكبر يقع على عاتق الأبوين.

ولقد أقرَّ الإسلام أنَّ النفس الإنسانية قد تثور أحيانًا، وأنه في أجواء الخلاف قد تنشأ بعض تغيرات المشاعر التي تؤثر سلباً على جودة الحياة الأسرية، فكان التوجيه القرآني لتنقية المشاعر وليعود للحياة صفاؤها، وللأسرة بهاؤها، فقال تعالى: ﴿ فَإِن كَرِهتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً ﴾ [النساء، ١٩]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (أي فعسى أن يكون صبركم في إمساكهن مع الكراهية فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة)[٥٢].

ولقد كان لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الأثر الأكبر في احتواء كل مشكلة، ومعالجة كل هانة، وإخماد كل عاصفة تنتج عن خلاف أو اختلاف، فلا غرو فقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم كما قالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)[٥٣].

ومن أهم الأخلاق الأسرية التي تحقق جودة الحياة فيها:

أولاً: حسن الاختيار لمكون الأسرة:

إن اختيار الزوجة الصالحة، أحد أهم ميزان جودة الحياة، وما تجلبه من نجاح وسعادة، وهو توجيه نبوي، قال صلى الله عليه وسلم: (تُنكَحُ المرأة لأربعٍ: لمالها، ولحسَبها، ولجمالها، ولدِينها؛ فاظفَرْ بذات الدين تربَتْ يداك) (٥٤)، وفي توجيه المرأة ووليها قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)(٥٥).

ثانياً: التمسك بتعاليم وأخلاق الإسلام:

على قدر تمسك الأسرة بدينها وتعاليمه، تكن سعادة الأسرة وجودة الحياة، فهو أساس السعادة للأفراد ومن حولهم، لأن حُسْن العلاقة مع الله تُحسِّن العلاقة مع الخلق، وتجلب السعادة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل، ٩٧]، في الدنيا بالقناعة، والسعادة والرزق الحلال، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل، ٩٧]، قال سفيان الثوري رحمه الله: (أصلحْ سريرتَك، يصلح اللهُ علانيتَك، وأصلح فيما بينك وبين الله، يصلحِ الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك، يكفِك الله أمر دنياك، وبِعْ دنياك بآخرتك تربَحْهما جَميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك، فتخسرهما جميعًا) (٥٦)، ومن ذلك أن يكون القرآن الكريم للأسرة هديًا ونبراسًا وقدوة في كل مناحي الأسرة، فإنه هو السعادة، ومنه تنبع، وبه تنمو، وإليه ترجع؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ما رأيتُ شيئًا يغذِّي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة: أكثرَ من إدامة النظر في كتاب الله تعالى)(٥٧)، وكان بعض المفسرين رحمهم الله يقول: (اشتغلنا بالقرآن؛ فغمرتنا البركات والخيرات والسعادة في الدنيا)(٥٨).

ثالثاً: المعاشرة بالمعروف:

المعروف ما في الفطرة مما رُكِّز في أهل الفطرة، قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء، ١٩]، وليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها، وقال ابن كثير رحمه الله: (طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله)(٥٩)، ومنه ما جبل عليه الإنسان، كالعناية بالنظافة الشخصية والاهتمام بحُسن المظهر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأَتزيَّن لامرأتي كما تتزيَّن لي، وما أحب أن أستنظفَ كل حقي الذي لي عليها، فتستوجب حقها الذي لها عليّ؛ لأن الله تعالى قال :﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة، ٢٢٨](٦٠).

رابعاً: كثرة الدعاء بين أفراد الأسرة:

وهو أحد أهم أبواب السعادة وجودة الحياة، كدعوة الوالد لولده، أو دعوة الولد لوالديه، أو الأخوة بعضهم لبعض، فبالدعاء تتحقق أشياء قد يظن المرء أنها بعيدة المنال، والدعاء سلاح ضد الشقاوة، والدعاء

أفضل الذكر، والذكر يجلب الطمأنينة والاستقرار والأمان، للنفس ولمن حوله، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد، ٢٨]، قال الطبري رحمه الله: (ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين) (٦١).

خامساً: بر الولدين:

وهو أحد أهم أسباب جودة الحياة وسعادتها، فبر الوالدين أساس السعادة، ورأس مالها، وليس في الناس أعظم إحساناً ولا أكثر فضلاً وإكراماً من الوالدين، جعلهما الله موئل السعادة وروضة العطف والحنان، فهما سببُ لتفريج الكربات، وتنزل البركات، وإجابة الدعوات، وببرهما والإحسان إليهما ينشرح الصدر وتطيب الحياة، قال تعالى: عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم، ٣٢]، قال ابن كثير رحمه الله: أي: (ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك) (٦٢)، فبر الوالدين يجعل القليل كثيراً والحقير عظيماً والرديء جيداً وما ذلك إلا بسبب البركة التي ينزلها الله تعالى على البررة بآبائهم، وكل ذلك وغيره من جودة الحياة الأسرية.

سادساً: صلة الأرحام:

وهو خلق من أخلاق جودة الحياة، لما له من أثر على شيوع المحبة والألفة، والشعور بالأمان، فمن أسعد رحمه سعد، ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه، ومن وصلهم وصلته السعادة؛ فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (٦٣)، وفي الحديث الرّزق الواسع، والذِّكر الحسن، من أهم آثار السعادة.

سابعاً: إشاعة المحبة والمودة بين أفراد الأسرة:

ففي إظهار المحبة والمودة بين أفراد الأسرة، إسعاد الأسرة وإيناسها؛ قال تعالى: ﴿ومِن آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكم مِن أنْفُسِكم أزْواجًا لِتَسْكُنُوا إلَيْها وجَعَلَ بَيْنَكم مَوَدَّةً ورَحْمَةً إنَّ في ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم، ٢١]، وقال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب أحدكم أخاه، فليُعْلِمْه أنه يحبه)(٦٤)، فما بالنا في حق الزوجين والأسرة!، ومنه اختيار الكلام الطيب الحسن، ومدح المحاسن، وشكر الأفعال، والابتسام في الوجه، والشكر لكل عمل طيب، التعبير المباشر عن المحبة والمودة بين الحين والآخر، والشكر على الإنجاز

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

رابعاً: احترام الشعور الإنساني:

خلق الشعور الإنساني يعني الأدب واللطف والرفق والرحمة والأخلاق الحميدة، التي تحتوي على معاني التراحم والتلاطف والتعاون والتآخي الإنساني والنصرة والنجدة للآخرين؛ قال تعالى في وصف كمال نبيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران، ١٥٩]، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين عن الإساءة للآخرين، وأمر بعدم التعرض لأعراضهم، فقال صلى الله عليه وسلم: (سِبابُ المسلم فسوق[٧٦]، وقتاله كفر) [٧٧]؛ والفسوق في لسان العرب: الخروج من الطاعة وواجب الشرع[٧٨]، ففي سبهم انتهاك لحرمتهم، وهو أمرٌ حذَّرت منه الشريعة في نصوص كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب، ٥٨]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرضه) [٧٩]، لأن السب والشتم خَصلة تتنافى مع وصف الإسلام والإيمان؛ ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن بالطَّعَّان، ولا باللَّعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء) [٨٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلِمَ المسلمون من لسانه ويده)[٨١]، ولأنه كذلك من الأمور التي تزرع العداوة والبغضاء بين المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء، ٥٣]؛ حيث: يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلامَ الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفِعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإن الشيطان عدوٌّ لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة[٨٢].

خامساً: الانتماء للمجتمع:

مما لا شك فيه أن الانتماء لمجتمع مما يثمر في جودة الحياة، فهو يشعر بالأنس والأمن والاطمئنان، ولأهمية ذلك فقد حث الشرع المطهر على لزوم جماعة المسلمين والبعد عن الفرقة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران، ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، ١٠٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: (عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ) [٨٣].

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

رابعاً: عدم استغلال العمل لمنفعة شخصيَّة:

سواءً له أو لقرابته وصداقته، يقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (مَن استعمَلناه على عملٍ فرزقناه رزقًا، فما أُخِذَ بعد ذلك فهو غلولٌ)، وفي روايةٍ أخرى: (مَن استعملناه منكم على عملٍ فكتمنا مخيطًا فما فوقَه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة)(٩٣).

خامساً: المحافظة على أسرار العمل وكتمانها:

يعد هذا أحد أخلاق جودة الحياة في بيئة العمل التي حَثَّ عليها الإسلام، وجعَل لها ثوابًا جزيلاً وفضلاً عظيمًا عند الله وفي حياة الناس، كما أن هذا الخُلُق الكريم أحد أقوى أسباب الرضا النفسي والنجاح، وأدوم لصلاح الأحوال وتحقيق الطموحات، يقول الماوردي: (اعلم أنَّ كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح) (٩٤)، يقول أبو حاتم البستي: (مَن حصَّن بالكتمان سِرَّه تَمَّ له تدبيرُه، وكان له الظَّفَر بما يُرِيد، والسلامة من العيب والضَّرَر، وإنْ أخطأَه التمكُّن والظَّفَر)(٩٥)، ولذا نبَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحد أمرائه في العراق، وهو أبو عبيد بن مسعود الثقفي، إلى هذا الخلق الكريم بقوله: (وأحرز لسانك ولا تفشينَّ سرَّك؛ فإنَّ صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يُؤتَى من وجهٍ يكرهه، وإذا ضيَّعه كان بمضيعة)(٩٦).

سادساً: العدل والإحسان:

وهو خلق ومبدأٌ رئيس في الإسلام، وميزان الاجتماع الإنساني وجودة الحياة، وعليه يقوم بناء الجماعة، واعتنى به الإسلام، وجعله غاية من إرسال الله الرسلَ وإنزاله الكتب، أكد عليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد، ٢٥]، ووعَد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم المقسِط العادل بالجزاء الحسن يوم القيامة؛ حيث قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ المقسِطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا)(٩٧).

والعدل في الإسلام: وضعُ الشيء موضعَه، وأن يَنال كلُّ إنسان ثمار عمله ويتحمَّل تبعة فعله، وله صور كثيرة منها: المساواة في حسن التعامل وفي بذْل الحقوق، دون تمييزٍ، المساواة في التكليف بالأعمال، النظر في مظالم من له حق، الموضوعية في تقييم العمل،... وغيرها.

والالتزام بخلق العدل والإحسان له آثارٌ إيجابيَّة حسنة على جودة الحياة وبيئة العمل وأطرافه؛ من تقوِّية مشاعر الاطمئنان والرضا، وتنمية روح الانتِماء، ما يدفع المرء إلى الاستقرار ومزيد من العطاء.

سابعاً: التواضع:

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

عاشراً: الجماعية والتعاون المثمر:

وهو ركن مهم في تحسين جودة الحياة لما له من أثر في سلامة العلاقات الاجتماعية، وتحقيق التكامل بين فريق العمل، فقد أكد القرآن الكريم على ضرورة ممارسة خلق التعاون في سبيل الخير وتحقيق الجودة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة، ٢]، فالتعاون والعمل الجماعي بروح الفريق خلق من أخلاق الإسلام، يؤكد عليه القرآن الكريم ويحث أتباعه عليه؛ لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية، ويحقق الرضا والاستقرار والاطمئنان أن الفريق واحد لتحقيق المصلحة العامة للجميع.

حادي عشر: التنافس الشريف المبني على الإنجاز:

ولا يعني التنافس الاغترار بالذات أو فوقية الأداء، بل هو أحد أخلاق التميز والتطلع لحياة أفضل في ظل الدأب نحو الأفضل والأجود، ولقد شكر الله تعالى على ما أنعم به مِن فضل على ما تميز به الفرد، قال تعالى حكاية عن الذي عنده علمٌ من الكتاب: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل، ٤٠]، وهو خلق يسهم في تحقيق الرضا الوظيفي، ويرفع من أداء العمل والإنتاج، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة، ١٤٨]، ويعد التنافس أحد الأخلاقيات الإيجابية، وأحد أهم الدوافع الإنسانية التي تحرك السلوك نحو الأفضل، خاصة إذا كانت الفرص متساوية أمام الجميع لإثبات جدارتهم وأحقيتهم، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين، ٢٦].

وتثمر أخلاقيات بيئة العمل عن جودة الحياة من خلال:

١- **الشعور بالرضا:** فالالتزام بالقيم الأخلاقية يزيد شعور الفرد بالرضا عن نفسه وعن البيئة التي يعمل بها، لما يطمئن له من نزاهة وأمانة وصدق وحسن تعاون وتميز علاقات خلال تأدية عمله، مما يعزز لديه الثقة في النفس ويظهر ذلك في سلوكه العام.

٢- **بناء سمعة جيدة:** وهي أحد مكتسبات الأفراد في بيئة العمل أن يترك أثرًا وتأثيرًا لما يتمتع به من حسن خلق، فيصبح أحد القدوات المميزة، وينال بها سمعة جيدة تؤهله إلى أماكن وبيئات عمل أكثر جودة، لما عُرف عنه من الالتزام بالمعايير الأخلاقية، فيصبح محل ثقة زملائه ورؤسائه في العمل، فيترك ذلك أثرًا إيجابيا في تحسين جودة الحياة، لما يشعر به من راحة وسعادة خلال تعاملاته مع الزملاء.

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ

الأخلاق وجودة الحياة ـــــــ